عباس يا طول حزني على يوسف قال ابن قتيبة الأسف أشد الحسرة قال سعيد بن جبير لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة مالم يعط الأنبياء قبلهم إنا ﷲ وإنا إليه راجعون البقرة 156 ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب إذ يقول يا أسفى على يوسف .

فإن قيل هذا لفظ الشكوى فأين الصبر .

فالجواب من وجهين .

أحدهما أنه شكا إلى اﷲ تعالى لا منه والثاني أنه أراد به الدعاء فالمعنى يارب ارحم أسفي على يوسف وذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال نداء يعقوب الأسف في اللفظ من المجاز الذي يعني به غير المظهر في اللفظ وتلخيصه يا إلهي ارحم أسفي أو أنت راء أسفي وهذا أسفي فنادى الأسف في اللفظ والمنادى في المعنى سواه كما قال يا حسرتنا والمعنى يا هؤلاء تنبهوا على حسرتنا قال والحزن ونفور النفس من المكروه والبلاء لا عيب فيه ولا مأثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم ولم يشك إلا إلى ربه فلما كان قوله يا أسفي شكوى إلى ربه كان غير ملوم وقد روي عن الحسن أن أخاه مات فجزع الحسن جزعا شديدا فعوتب في ذلك فقال ما وجدت اﷲ عاب على يعقوب الحزن حيث قال يا أسفي على يوسف .

قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن أي انقلبت إلى حال البياض وهل ذهب بصره أم لا فيه قولان .

أحدهما أنه ذهب بصره قاله مجاهد .

والثاني ضعف بصره لبياض تغشاه من كثرة البكاء ذكره الماوردي وقال مقاتل لم يبصر بعينيه ست سنين